



The democratic political process in Iraq between reform and empowerment and comprehensive review after the elections of 2018

Asst.Prof.Dr. Hamsa Qahtan khalaf *

Baghdad University - College of Political Science

Article info.

Article history:

- Received 13 May 2019
- Accepted 23 May 2019
- Available online 16 June 2019

Keywords:

- democratic process
- Iraq
- elections
- Political system

Abstract: The research has been tackled about the emerging democratic political process in Iraq since 2003 , especially it has not received much attention from specialists in political, social and legal reform. So the Iraq's situation has been subjected to various successive crises which matched with too much differences as well as the continuation of the administration of governance in accordance with the theory of power-sharing between the three presidencies, had brought it to all positions by the responsibility which witnessed a big suspicions; because of the political corruption in both administrative and financial sides .The invitations for procuring the comprehensive reform and empowerment within democracy needed to be the latest phenomena as a part of the policy that declined in previous period, which took place the democratic political process until we found it unable to renew itself and revive its contents from inside owing to the condition of the reliance on the consensus and political quotas by their sectarian, national, ethnic components in the political society . Furthermore , the process of re-revision in order to implement the reform and empowerment in democracy's process became an urgent need to re - model the experience with a real and effective measures for the experience that can overcome the past and present to looking forward the future, and among these requirements and needs of several trying to be consistent with them

* Corresponding Author: Hamsa Qahtan khalaf , E-Mail: dr.hamsaaljumaily@yahoo.com
 ,Tel:009647809559627, Affiliation: Baghdad University - College of Political Science

according to the requirements of this stage in light of the trend to assess the overall political situation , and others to achieve a specific comprehensive review that does not harm the democratic political process consequently . So that , every country couldn't get into the political reform without a hierarchical way to re-build the condition of democratic empowerment , although the power-holders make the right choices to secure their presence in the authority by ensuring their electoral supremacy in the democratic political process constitutionally and legally alike .The rules of participatory democratic political action; and the continuation of formal political reforms are considered a cause of crisis with the option of stumbling path reform in the final outcome and this does not serve the whole political experience in Iraq . In spite of the effectiveness of the Iraqi society, which is characterized by effective social mobility and even political at the popular levels, especially in the levels of The middle class itself and others, which began to do so in general, by stimulating the choice between the alternatives offered , to overcome this general problems by the political reform movement that is going on at the level of the ruling political class (National settlement options) or so – called The National Historic distressed under a state of political stagnation which suffered by the most of the partisan forces that relied just on their method visions . That change does not happen on its own, but through the behavior of individuals and their actions that based on the condition of a admixture between the theory of change and actual practice overlapping ultimately the incentives , to move effectively toward the transition into the best , and between the various structural factors contribute to the conditions of overall revision , which requires attaching aspirations to fulfillment action through reformist movements and to rebuild the national peace , stable and continuous pattern of change that starts from the bottom up to the top and not vice versa. Because the recent (reverse) reform structure may lead to abrupt and unexpected results as well as the state of decline in the institutional structure of society .

Finally, The previous scenes we found were working in accordance with the current consensuses and alliances based on the profits and rewards, by exercising the authority without relying on the legitimacy of achievement and containment the whole components together. So in the next stage will be confronted a full of crises and with new challenges, which will undoubtedly be affected by failures of traditional parties or otherwise as long as they are part of the democratic political process, because the previous election experiences could not break the barriers and penetrate the equations of the reality within the current political assumptions, So

that the limits of the authority itself would not have willing to seek the mission of rebuilding the nation-state or re-building into maintain its existence in a stable, orderly and balanced systematically , despite of the attempts of some leaders and renewal (senior) leaders to move somewhat away from the symbolic model of leadership and management alike .

All of that , it depends on the quality of reform and review to accomplish the empowerment in political democracy , and to overcome all the differences among political governing elites presently and for the future , by procuring an active democratic process consequently .

العملية السياسية الديمقراطية في العراق بين الإصلاح والتمكين والمراجعة الشاملة بعد انتخابات عام 2018

أ.م.د. همسة قحطان خلف

كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد

معلومات البحث :

تواريخ البحث:

- الاستلام : 13/ايار/2019
- القبول : 23/ايار/2019
- النشر المباشر : 2019/6/16

الكلمات المفتاحية :

- العملية الديمقراطية
- العراق
- الانتخابات
- نظم سياسية

الخلاصة : لم تحظى العملية السياسية الديمقراطية الناشئة في العراق منذ عام 2003 بالاهتمام الكبير من جانب المتخصصين في قضايا الإصلاح السياسي والاجتماعي والقانوني وما سواها من مجالات من أجل إعادة المراجعة في تفاصيلها التي باتت تتعرض لأزمات متوالية معبأة بالخلافات والاختلافات ، فضلاً عن المضي في تسيير إدارة شؤون الحكم وفقاً لنظرية تقاسم السلطة بين الرئاسات الثلاث ليصل الأمر إلى جميع مواقع المسؤولية التي انتابتها شبهات الفساد السياسي والإداري والمالي ، لتكون الظواهر الأخيرة جزءاً من سياسة التراجع التي انتابت العملية السياسية الديمقراطية إلى أن وجدناها غير قادرة على تجديد نفسها وإعادة الحياة في مضامينها بسبب الاعتماد على التوافقات والمحاصصة السياسية ببعدها المذهبي والقومي والاثني وما سواه ، من هنا باتت عملية إعادة المراجعة من أجل الإصلاح والتمكين ضرورة ملحة لنمنجة التجربة بإجراءات حقيقية وفعالية قادرة على تجاوز محنة الماضي والحاضر للعبور نحو المستقبل . وبين هذا وذاك متطلبات واحتياجات عدة يحاول البعض أن يتسق معها وبحسب مقتضيات المرحلة في ظل التوجه نحو تقويم مجمل الأوضاع السياسية العامة من أجل ضمان تحقيق نوع من المراجعة الشاملة التي لا تلحق الضرر بالعملية السياسية الديمقراطية الراهنة . إذ أن كل دولة تستطيع الولوج في الإصلاح السياسي وبشكل تدريجي وصولاً إلى حالة التمكين الديمقراطي الحقيقي ، على الرغم من أن القابضين على السلطة يضعون الخيارات المناسبة لتأمين وجودهم في الحكم من خلال الوسائل الديمقراطية السلمية المعروفة التي كفلها الدستور والقوانين النافذة ؛ أما الاستمرار بالإصلاحات السياسية الشكلية فإنه مدعاة لأزمات مع طرح خيار تعثر المسار الإصلاحي بالمحصلة النهائية وهذا لا يخدم التجربة السياسية بأكملها.

أن التغيير لا يمكن أن يحدث بشكل تلقائي وسريع وإنما يجري من خلال توجيه سلوكيات الأفراد وأفعالهم وعلى أساس الاستناد إلى حالة من التمازج فيما بين التنظير الفكري من أجل التغيير ، والممارسة الفعلية المتداخلة بمحفزات الانتقال والتحول من حال إلى حال أفضل ، وبين هذا وذاك عوامل بنيوية عدة تسهم في تحقيق الظروف المواتية للإصلاح الذي يتطلب ربط الطموحات بالأفعال من خلال حركات إصلاحية فاعلة وضامنة لبناء نمط ونموذج سلمي مستقر ومستمر في التغيير يبدأ من القاعدة وصولاً إلى القمة وليس العكس. لأن البناء الإصلاحي على النمط الأخير (العكسي) قد يفضي إلى عمليات تغيير مفاجئة وسريعة غير متوقعة النتائج ، فضلاً عن حالة التراجع التي تصيب البنية المؤسسية للمجتمع والدولة بالكامل . فعلى سبيل المثال وجدنا المشاهد السابقة تعمل على وفق توافقات وتحالفات أنية مبنية على مكاسب ومغانم السلطة من

دون الاتكاء على شرعية الانجاز والاحتواء معاً ، بمعنى إن المرحلة القادمة ستكون معبئة بالأزمات وملبئة بالتحديات الجديدة والتي ستتأثر من دون أدنى شك بالإخفاقات الحاصلة من الاحزاب التقليدية أو ما سواها طالما إنها جزء من العملية السياسية الديمقراطية الحالية ، لأن الدورات الانتخابية السابقة لم تتمكن من كسر الحواجز وتخترق معادلات واقع الفروض السياسية التي تروم التمرکز الشديد ضمن حدود السلطة نفسها ، وغير الراغبة أصلاً في ولوج محنة استكمال بناء مقومات الدولة الامة للحفاظ على كيانها بشكل مستقر ومنتظم ومتوازن كجزء من العملية الاصلاحية التي تنشدها خلال المرحلة القادمة ، على الرغم من محاولة بعض القيادات والزعامات الحالية أن تنبئ إلى حد ما عن النمطية الرمزية في القيادة والإدارة في الحكم.

من هنا يمكننا القول ان تسويات اللحظة الأخيرة للخلافات والأزمات ستكون مُلقة على عاتق الجيل الجديد من القيادات ، والتي من دون أدنى شك ستكون مرهونة بحوارات من نوع آخر تجري على المستوى الرسمي وغير الرسمي على حد سواء ، وبحسب الرؤية التي ستأتي بها حكومة رئيس الوزراء العراقي الجديد عادل عبد المهدي بالتعاون مع المؤسسات السيادية الأخرى للدولة ، لنكون الأقرب لمسار التسويات الشاملة للمشكلات والأزمات الذي سيجري وفقاً لنوعية الطرح وطبيعة مضامين البرنامج الحكومي الاصلاحى المطروح على مدى المستقبل القريب . مع الأخذ بالحسبان حالات الحراك السياسي الشعبي من قبل التيارات المدنية التي بدت أكثر قبولاً من جانب الرأي العام السياسي والمجتمعي، كرد فعل طبيعي على تعثر الأحزاب السياسية التقليدية بمختلف توجهاتها ومعتقداتها الفكرية التي مازالت جزءاً من السلطة الحاكمة ، في ظل الآمال والطموحات المنشودة من أجل إحداث نقلات نوعية على مستويات الإصلاح السياسي والإداري ومحاربة الفساد وما سواه من المعالجات التي تروم إعادة التقييم والتمكين من أجل توطين التجربة الديمقراطية الناشئة في العراق على مدى المستقبل القريب .

المقدمة:

عانت العملية السياسية الديمقراطية منذ عام 2003 من تحديات عدة على صعيد التنظير والممارسة ، فضلاً عن إشكاليات المرحلة الراهنة وأزماتها التي جاءت وفقاً لمعادلة نظرية تقاسم السلطة المستندة إلى المحاصصة الطائفية السياسية ببعدها المذهبي والقومي والاثني وما سواها بدءاً من تشكيل مجلس الحكم الانتقالي في الثاني عشر من تموز 2003 وحتى يومنا هذا ، ناهيك عن تحديات المرحلة الحرجة المتأتية من واقع احتلال من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها والذي فرض واقعاً سياسياً غير مستقر. إذ لم تحظى العملية السياسية الديمقراطية الناشئة في العراق بالاهتمام الكبير من جانب المتخصصين في قضايا الاصلاح السياسي والاجتماعي والقانوني وما سواها ، من أجل إعادة المراجعة في تفاصيلها التي باتت تتعرض لأزمات متوالية معبأة بالخلافات والاختلافات بين الحين والآخر. من هنا باتت عملية إعادة المراجعة من أجل الإصلاح والتمكين ضرورة ملحة لنمذجة التجربة الديمقراطية بإجراءات حقيقية وفعالية قادرة على تجاوز محنة الماضي والحاضر للعبور نحو المستقبل ، وبين هذا وذاك متطلبات واحتياجات عدة يحاول البعض أن يتسق معها وبحسب مقتضيات المرحلة للتوجه نحو تقييم مجمل الأوضاع السياسية العامة ، لتحقيق نوع من أنماط المراجعة الشاملة الفاعلة التي لا تلحق الضرر بالعملية السياسية الديمقراطية . فكل دولة ديمقراطية بإمكانها الولوج في الإصلاح السياسي بشكل تدريجي وصولاً إلى حالة التمكين الديمقراطي الحقيقي ، على الرغم من أن القابضين على السلطة يضعون الخيارات المناسبة لتأمين وجودهم في الحكم من خلال ضمان تفوقهم الانتخابي في العملية السياسية الديمقراطية الذي يجري بشكل دستوري وقانوني وفقاً لما تسمح به قواعد العمل السياسي الديمقراطي التشاركية وهذا شيء طبيعي ؛ ولكن الاستمرار بالإصلاحات السياسية الشكلية فإنه مدعاة في نهاية المطاف إلى المزيد من الأزمات في ظل احتمالية طرح خيار تعثر المسار الإصلاحي بالمحصلة النهائية وهذا لا يخدم التجربة السياسية الديمقراطية بأكملها .

أما الطبقة السياسية الحاكمة فوجدتها في أغلب الأحوال متمسكة بمعتقداتها الايديولوجية والفكرية المتسقة مع حالة الانغلاق والجمود الفكري (ضرورات الاصلاح والمراجعة في الطروحات الفكرية) ، على الرغم من فاعلية المجتمع العراقي الذي يمتاز بفاعلية الحراك الشعبي على المستوى السياسي سيما في مستويات الطبقة الوسطى نفسها وما سواها التي بدأت فواعلها بالمجمل تحاكي الاختيار بين البدائل المطروحة (الشرائح الفقيرة من المجتمع) ، ليفوق هذا الحراك الجماهيري الحراك السياسي الذي يجري حالياً على مستوى الطبقة السياسية الحاكمة (خيارات التسوية التاريخية الوطنية المتعثرة) في ظل حالة الركود السياسي الذي تعاني منه أغلب القوى الحزبية التي اعتمدت على أسلوب التعبئة ليس إلا .

من هنا باتت بُنية الدولة والمجتمع تعاني من متوالية الأزمات بجميع أشكالها سواء أكانت مؤسسية أو دستورية ؛ بسبب إشكالية صعوبة التوفيق ما بين دعوات إجراء الاصلاح نفسه بالتزامن مع ضرورات التمكين في جميع تفاصيل العملية السياسية الديمقراطية التي باتت على المحك ، لاسيما بعد المؤشرات السلبية الكبيرة التي سجلت على واقع المشاركة السياسية وإدارة العملية الانتخابية التي جرت في انتخابات الثاني عشر من أيار عام 2018 .

أما محنة المرحلة الراهنة تكمن في كيفية اعادة بناء مؤسسات الدولة بشكل مؤسسي ودستوري تُراعى فيه كل الثوابت الوطنية من دون الانشغال الكبير في ترتيب أولويات بناء السلطة المحضة ليس إلا ، وهذا ما لحظناه خلال المرحلة السابقة ، وبين هذا وذاك باتت جميع القوى السياسية مهمومة في كيفية صيرورة وسائل ضمان استمرارها في التحكم بوسائل قيادة المسؤولية على أساس زعاماتها الحزبية التقليدية ، ليتبلور صراع من نوع آخر يعمل على تمكين إجراءات التحكم بأدوات السلطة والنفوذ ، وليس المُضي في مأسسة الدولة واستقرار المجتمع في مرحلة ما بعد الصراع على أمل استدامة مقومات بناء السلام (مرحلة ما بعد الانتصار على التنظيمات الارهابية المسلحة والمتشددة المتحققة بعد عام 2016) . اذ لا بد هنا من طرح مشروع سياسي يُؤطر ببرامج تستند الى التخطيط الاستراتيجي بعيد الأمد ، لاسيما وإن دول منطقة الشرق الأوسط عموماً باتت تشهد تطورات متسارعة مليئة بالمتغيرات في ظل ما عرف بأحداث ثورات الربيع العربي الحاصلة منذ عام 2011 ، كما أن حالات الحراك السياسي من جانب تيارات القوى المدنية بدا أكثر قبولاً من جانب الرأي العام السياسي والمجتمعي على حد سواء ، كونه يمثل حالة من رد الفعل الطبيعي على تعثر أحزاب السلطة في إحداث نقلات نوعية على مستويات الإصلاح السياسي والإداري ومحاربة الفساد وما سواه ، لاسيما بعد ترسيخها لسياسات طائفية في التعاطي مع ممارسة حدود المسؤولية نفسها حاضراً ومستقبلاً .

أما فيما يتعلق بموضوع البحث بشأن العملية السياسية الديمقراطية الراهنة بين الاصلاح والتمكين والمراجعة الشاملة بعد نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في عام 2018 فإنه بات يجري بواقع سياسي جديد يستند إلى نمط التحالفات السياسية القادمة الذي ستكون بطبيعة الحال غير خالية من الخلافات والاختلافات السياسية المتصاعدة بوتيرة أوسع أيضاً ، مما ينبغي السعي نحو معالجة جميع هذه المظاهر من خلال إعادة المراجعة الشاملة لتمكين معادلة الاصلاح السياسي مع وضع آليات مُغايرة قادرة على تذليل الخلافات والاختلافات ، على أمل الوصول إلى حالة من الاستقرار السياسي المؤسسي الضامن لاستكمال متطلبات إعادة التقييم والمراجعة ، وصولاً إلى تغيير الكثير من المفاهيم والسلوكيات السياسية التي

رافقت تطبيق التجربة الديمقراطية الناشئة في العراق ؛ مع ضرورة تمكين تنفيذ إجراء هذه المراجعة لبناء رؤى استراتيجية مشتركة لما ينبغي أن يكون عليه الوضع العام في العراق حاضراً ومستقبلاً .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث من ضرورة البدء بعملية الإصلاح السياسي والتمكين الديمقراطي في العملية السياسية العراقية التي انتابها الكثير من الأزمات والمشكلات ، لذا فلا بُدَّ من مشروع سياسي مؤطر ببرامج حقيقية وليست مجرد وعوداً ، مع الأخذ بالحسبان المتغيرات الكبرى التي تحدثت في عموم دول الشرق الأوسط منذ أحداث ما عرف بثورات الربيع العربي الحاصلة في عام 2011 ، ناهيك عن تراجع دور الناخب في مجال المشاركة السياسية تحديداً ، وفي كل عملية انتخابية لاسيما انتخابات الثاني عشر من أيار عام 2018 ، والتي أفرزت عزوفاً كبيراً من المواطن العراقي في ظل رغبة الطبقة السياسية الحاكمة الاستمرار في انشغالها ببناء سلطة الأحزاب وليس سلطة الدولة المؤسسية المستقرة .

مشكلة البحث :

باتت العملية السياسية الديمقراطية الناشئة في العراق تفرز واقعاً سياسياً جديداً بعد نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في أيار عام 2018 ، والذي بدأ يعتمد على شكل ونمط مغاير في التحالفات السياسية ، فتارة نراه يستند إلى التوافقية وتارة أخرى يتكأ على المناورة بأسلوب التفاوض من أجل الحصول على مكاسب ، مما أنتج مخرجات انتخابية أصابها الشيء الكثير من الشكوك والتساؤلات بسبب التزييف في إرادة الناخب في العديد من الدوائر الانتخابية ، وبدليل انتداب مجموعة من القضاة وهذا يحدث لأول مرة من أجل الاشراف على عملية إعادة العد والفرز . فضلاً عن استمرار حالة الخلافات والاختلافات السياسية المتصاعدة بوتيرة مضطردة أيضاً ، مما ينبغي السعي نحو إعادة المراجعة الشاملة لتمكين معادلة الإصلاح السياسي بوضع آليات مُغايرة قادرة على تذليل الخلافات والاختلافات على أمل الوصول إلى حالة من الاستقرار السياسي المؤسسي الضامن لتطبيق تجربة ديمقراطية فاعلة وحقيقية .

فرضية البحث :

استندت فرضية البحث إلى ضرورة صيرورة متطلبات إعادة المراجعة في العملية السياسية الديمقراطية الناشئة في العراق وصولاً إلى تغيير الكثير من المفاهيم والسلوكيات السياسية التي رافقت تطبيق هذه التجربة الديمقراطية ، من أجل استكمال متطلبات الإصلاح السياسي والقانوني وما سواه على أمل تمكين نمط مقبول من الممارسات الديمقراطية يحظى بقبول جميع أفراد المجتمع ، وكذلك الأطراف والقوى السياسية والاجتماعية الأخرى على حد سواء .

منهجية البحث :

اعتمد البحث في منهجه العلمي البحثي على منهج التحليل النظامي من أجل معرفة أبعاد العملية السياسية الديمقراطية العراقية الراهنة بعد انتخابات أيار عام 2018 التي تتأرجح بين الإصلاح والتمكين والمراجعة الشاملة ، فضلاً عن الاستعانة بالمنهج الوصفي لاستقراء واقع الأحداث السياسية مع توظيف المنهج الوظيفي لتحليل آليات عمل التجربة الديمقراطية الناشئة منذ عام 2003 .

هيكلة البحث :

انقسم البحث إلى مقدمة وخاتمة بالاستنتاجات موزعة في ثلاث مباحث ، بحث الأول في عبء المرحلة الراهنة والتوجه نحو عمليتي الإصلاح والتمكين من أجل معالجة الاختلال البيوي والوظيفي في العملية السياسية الديمقراطية وتحليل فلسفة النظام السياسي الديمقراطي الراهن للخروج من الأزمات والمشكلات المتوالية . أما المبحث الثاني فقد بحث في تحليل واقع العملية السياسية الديمقراطية في ظل ضرورات تمكين وضوح الرؤية لمعرفة الآليات الإجرائية الضامنة للتحويل من سلطة الحزب إلى سلطة الدولة ، ومن ثم تحليل الواقع السياسي ومواجهة التحديات الأمنية وموجات ما بعد العنف لضمان استقرار المجتمع والدولة على حد سواء . في حين بحث المبحث الثالث حول موضوع الإشكاليات الانتخابية التي تواجه العملية السياسية الديمقراطية سيما أبعاد إشكاليات المرجعية القانونية للانتخابات الديمقراطية السابقة وتأثير فاعلية النظم الانتخابية والنمط المقترح للتطبيق .

المبحث الأول: عبء المرحلة الراهنة والتوجه نحو عمليتي الإصلاح والتمكين

لم تتمكن الكثير من القوى السياسية المشاركة في العملية الانتخابية الديمقراطية منذ عام 2003 ولحد الآن من إنتاج جيل جديد من الطبقة السياسية يكون قادراً على توجيه سلوك الناخب نحو الاختيار الديمقراطي الحقيقي ، ومن دون الاستمرار في توجيه هذا النوع من الاختيار على أساس التعبئة الآنية نحو مخرجات الانتماء الحزبي أو المذهبي أو القومي المتمركز ضمن حلقات مصالح الأطراف السياسية المشاركة في الانتخابات حصراً ، ناهيك عن حالات الطعون الموجهة في تزوير الانتخابات والتشكيك المستمر بنزاهتها بين الحين والآخر ، ليتحول المشهد الانتخابي من الاستحقاق الديمقراطي إلى التفكير بالمنافع المتأتبة من الوصول إلى السلطة حصراً (توزيع مغانم السلطة). من هنا تمحورت جميع الفعاليات السياسية والانتخابية بإجراءات تقليدية نمطية تريد أن تستثمر ما لديها من نفوذ وسلطة من أجل كسب أصوات الناخبين من دون الاهتمام الكافي بمقدار الخدمة المقدمة (الانجاز) خلال السنوات القادمة من تولي السلطة (رضا جمهور الناخبين على المدى المنظور) ، مع الاعتماد على أسلوب الترويج الانتخابي والدعائي حيال ناخبهم في وقت الانتخابات حصراً مع ترغيبهم بعود وآمال واستحقاقات ليس إلا .

أما واقع نشأة الأحزاب السياسية العراقية فنجدده هو الآخر ليس ببعيد عن الولاءات الفرعية سيما المذهبية منها وهي ظاهرة تعود إلى مرحلة ما بعد قيام الدولة العراقية الحديثة أصلاً سيما منذ العهد الملكي والتي وصفها المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسيني بأنها أحزاب تبغي العمل كمهنة من أجل الكسب النفعي ، وسرعان ما نجد البعض ينقلب على الحزب نفسه أن لم يحصل على ذلك النفع المُبتغى ، فضلاً عن نشأة الأحزاب على أساس شخصي ليس إلا من دون الاستناد إلى المبادئ والتنظيم

الحقيقيين

¹ . أما إشكاليات التعدد والتنوع داخل المجتمع السياسي فقد باتت تجري على مبادئ جديدة في إدارة الحكم بعد عام 2003 ، لاسيما في ظل تجربة الحكم الوطني الذي يختلف تماماً عن مجلس الحكم الانتقالي ، ولكن لم يفهم لحد الآن

إن قضية التحول السياسي الديمقراطي القادم سيكون للجميع من خلال اسهامهم في بنائه وتقويم نموذج حكم مقبول ومرضي عنه من الجميع حاضراً ومستقبلاً⁽²⁾.

المطلب الأول: معالجة الاختلال البنيوي والوظيفي في العملية السياسية الديمقراطية

تمثل الإصلاحات الديمقراطية مجمل الإجراءات المطبقة التي ترمي إلى معالجة الاختلال في جانب معين أو أكثر من جوانب النسق الاجتماعي العام الذي يجري في إطار البنية السياسية والدستورية للنظام نفسه ، بمعنى أن الإصلاح لا يشمل التغيير، وإنما المعالجة والتعديل من دون الخروج على النسق العام . إذ أكد الدكتور خليل إبراهيم بأن الإصلاح هو الاحتفاظ بالمكونات الأساسية لعناصر الحاضر والاتجاه نحو تفعيل المؤسسات والهيئات، وهي العملية التي تسعى نحو إزالة الجوانب غير المرغوب فيها في داخل النظام ككل من دون إحداث أي تغيير في مادته ومضمونه ؛ ولكن البعض الآخر يرى ضرورة القيام بالتغيير الجذري في حالة فشل المؤسسات القائمة عن إداء المهام المنوطة بها⁽³⁾ . كما أن تشكيل المؤسسات على أساس تحديد نسب المكونات الاجتماعية واستحقاقاتها التفضيلية قد يُفضي إلى جعل الديمقراطية التوافقية في العراق ديمقراطية مكونات ، وهذه السياسات الإجرائية عملت على تنشئة المجتمع السياسي على نمط احياء الروابط التقليدية على حساب الروابط الوطنية ، وبالمحصلة النهائية تؤدي هذه الأوضاع إلى خلق حالة من التشطي السياسي داخل النسيج الاجتماعي بأكمله ، مما يستدعي المُضي في عملية الإصلاح الشامل ضمن بُنية المجتمع والدولة على حد سواء⁽⁴⁾ . لذا يمكننا القول أن وجود التعددية السياسية من شأنه أن يوفر خيارات عدة أمام الطبقة السياسية الحاكمة ، لتكون الأخيرة جزءاً من سياسة الإصلاح التي يرومها الجميع والتي ستجري على أساس أنموذج الإصلاح المناسب ومقتضيات المرحلة الراهنة في ظل التوجه نحو تقييم مجمل الأوضاع السياسية العامة وما سواها ، من أجل تحقيق مراجعة شاملة من دون أن تلحق الضرر بممارسي السلطة الحاكمة وإن كانوا فاعلين في مجتمعاتهم . لأن كل تجربة ديمقراطية ناشئة تستطيع الولوج في الإصلاح السياسي على شكل تدرجي وصولاً إلى حالة التمكين الديمقراطي الحقيقي ، على الرغم من أن القابضين على السلطة قد يضعون بعض الخيارات المناسبة لتأمين وجودهم في الحكم من خلال ضمان تفوقهم الانتخابي في العملية السياسية الديمقراطية ؛ أما الإصرار في الاستمرار بالإصلاحات السياسية الشكلية فإنه مدعاة للأزمات مع طرح خيار تعثر المسار الإصلاحية نفسه ، بمعنى إن الحاجة تكمن هنا في صيرورة جيل جديد يروم الإصلاح بشرط وجود نخبة قادرة على الفعل والعمل التنموي لقيادة عملية التغيير باتجاه بناء دولة مؤسسات تستند الى التفاعل النشط مع مؤسسات المجتمع المدني كونها مؤشر المشاركة الحقيقي في منظومة العمل التنموي والادارة الرشيدة للحكم الديمقراطي⁽⁵⁾ ، ومن الحلول المطروحة من أجل ترسيخ وتوطين أسس الإصلاح الديمقراطي هو ضمان توسيع مجالات نطاق المشاركة والاهتمام بشرائح المجتمع كافة ، لاسيما الفئات العمرية من الشباب وما سواهم للنهوض بالواقع التنموي الدافع لاستكمال عملية التنمية الشاملة باتجاه مجالات الحياة كافة التي تجري على وفق استراتيجية تنموية واضحة المعالم لضمان مستقبل الأجيال القادمة⁽⁶⁾ . بمعنى المُضي في عملية الإصلاح لبناء مؤسسات الدولة الحديثة ومن ثم إعادة انتاج مقومات التقدم العلمي والحضاري للدخول في عصر المعلوماتية الراهنة بفاعلية (التحديث السياسي)، كونها الضامنة لتنفيذ أبعاد المشروع التنموي النهضوي في ظل التحديات الراهنة التي تواجه الدولة والمجتمع على حد سواء ، مع الأخذ بالحسبان ظاهرة تنامي احتياجات أفراد المجتمع

على مستوى المستقبل القريب ، ليؤسس لتجربة ديمقراطية حقيقية تحظى بالقبول ورضا الجميع بعد استكمال عمليتي المراجعة والتقييم فيها ⁽⁷⁾ .

من هنا يمكننا القول إن الإصلاح السياسي عملية شاملة للتحويل من الأنظمة غير الديمقراطية من حيث الممارسة والسلوك إلى مجتمعات أكثر انفتاحاً وديمقراطية ، فضلاً عن كونها عملية تعديل و تطوير وتحديث قد تكون جزئية أو جذرية تجري في أنماط ممارسة مسؤولية الحكم وعلاقاتها الاجتماعية، ومجمل العملية تجري من خلال تعديل الأنظمة والقوانين للانتقال من حالة إلى أخرى ومن بنى تقليدية إلى بنى محدثة أيضاً ، لمواكبة العصر ومتغيراته و إرساء قيم الحرية السياسية وما سواها التي تستند إلى عنصر الاختيار الذي هو جوهر الديمقراطية. أما الأخير فيقتضي مستوى معين من المؤسسة ، أي وجود معايير قانونية تحكم عمل المؤسسات بعيداً عن الجمود و الشخصية والتسلط ، ومع وجود هذه المعايير يمكننا ضمان استيعاب التوقعات والاحتمالات التي يحدثها الإصلاح نفسه ، وما تجدر الإشارة إليه كذلك أن هناك ارتباط عضوي بين مفهومي الإصلاح والركود، فغالبا ما يجري الاتجاه نحو الإصلاح في حالات وقوع الركود من أجل تمكين تقييم الأوضاع العامة .

المطلب الثاني : فلسفة النظام السياسي الديمقراطي الراهن والخروج من الأزمات المتوالية :

إن المؤسسات الدستورية والسياسية التي تشكلت وفقاً لفلسفة النظام السياسي الديمقراطي الجديد وشكل الدولة الراهن في كونه نظام اتحادي ديمقراطي نيابي برلماني ، ليكون أمام تنوع ومزج في أشكال أنظمة الحكم ، مما يتطلب استكمال العمل السياسي بمتلازمة ديمقراطية سياسية تضمن خطاباً سياسياً مقبولاً نوعاً ما ، لاسيما في مرحلتي ما قبل وبعد إجراء العمليات الانتخابية الديمقراطية من دون الاحتكام لمرجعيات قانونية متعددة كما هو الحال في تشريع العديد من القوانين الانتخابية بعد مضي كل أربع سنوات من انقضاء المدة الدستورية لتولي مسؤولية السلطة (الأنموذج الديمقراطي العراقي الراهن) .

أما الطبقة السياسية الحاكمة فوجدتها هي الأخرى متمسكة بمعتقداتها الايديولوجية ومنطلقاتها الفكرية التي باتت تحسر في أغلب الأحيان ضمن حالة الانغلاق والجمود الفكري (ضرورة الاصلاح والمراجعة في الطروحات الفكرية) ، على الرغم من فاعلية المجتمع العراقي الذي يمتاز بفاعلية الحراك الاجتماعي وحتى السياسي في المستويات الشعبية منه ، لاسيما الطبقة الوسطى وما سواها التي بدأت فواعلها بالمجمل تحاكي الاختيار ما بين البدائل المطروحة (الشرائح الفقيرة من المجتمع على وجه الخصوص) ، في ظل حالة الركود السياسي الذي تعاني منه أغلب القوى الحزبية التي اعتمدت على أسلوب التعبئة ليس إلا .

إن السعي نحو تمكين الاستقرار المجتمعي بين أفراد المجتمع الواحد يقتضي إرساء أسس التصالح والقبول بالآخر ، مما يقوي حالة الانسجام والوئام ضمن ثوابت الحفاظ على وحدة المجتمع واستقرار الدولة على حد سواء ، مع المضي في صيرورة عقد سياسي وقانوني يوثق العلاقة بين الأطراف الاجتماعية والسياسية جميعاً وبشكل متوازن قد يستند بالمحصلة النهائية إلى تسوية تاريخية للأزمات السابقة من منظور وطني تتوحد فيه الرؤى والمواقف لبناء عملية سياسية ديمقراطية مستقرة ومؤسسات دولة قوية فاعلة قادرة على خدمة مواطنيها وهذا هو المعيار الحقيقي للشرعية في مرحلة ما بعد الانتخابات ، وهذا يتطلب التكيف أيضاً مع التعددية الاجتماعية المتنوعة في الداخل لتكون ضمن إطار التنوع في الوحدة

المجتمعية التي تشد الحفاظ على مقومات الوحدة الوطنية وتنبذ جميع وسائل ممارسة العنف غير المُبرّر ، من أجل تسوية أزمات وإشكاليات المرحلة الراهنة ، ومن ثم المُضي في ترسيخ مقومات ثقافة استدامة بناء السلم والسلام المجتمعي الذي من شأنه أن يضمن توطين التجربة الديمقراطية الناشئة في العراق بفعل مواءمة التحولات السياسية بتحوّلات اجتماعية وثقافية تنموية واعدة تعمل على تثبيت الأمن والاستقرار بشكل عملي ومؤسسي حاضراً ومستقبلاً .

من هنا يمكننا القول ، أن التغيير لا يحدث من تلقاء نفسه وإنما يجري من خلال سلوكيات الأفراد وأفعالهم وعلى أساس الاستناد إلى حالة من التمازج فيما بين التنظير الفكري من أجل التغيير والممارسة الفعلية أيضاً والمتداخلة ضمن محفزات الانتقال والتحول من حالٍ إلى حالٍ أفضل ، وبين هذا وذاك عوامل بنيوية عدة تسهم في تحقيق الظروف المواتية للإصلاح الذي يتطلب ربط الطموحات بالأفعال من خلال حركات إصلاحية شاملة لبناء نمط سلمي مستقر ومستمر في التغيير يبدأ من القاعدة وصولاً إلى القمة وليس العكس؛ لأن البناء الإصلاحي على النمط الأخير (العكسي) قد يفضي إلى عمليات تغيير مفاجئة وسريعة غير متوقعة النتائج ، مع الأخذ بالحسبان حالة التراجع التي قد تصيب البنية المؤسسية للمجتمع والدولة بالكامل⁽⁸⁾ .

أما التباينات الاجتماعية فلا تكمن في التنوع وحده ، وإنما تبقى كامنة في القيم والممارسات وضمن حدود الرضا العام بالنظام السياسي القائم ، وعند دفع عملية الإصلاح نحو الأمام سنجد من الصعب صيرورة كتلة تاريخية أو حتى تحالفات قوية تحظى بالقبول العام ، لتكون النتيجة بالمحصلة النهائية تعثر وربما تأخر فرص بناء المجتمع الديمقراطي المؤسسي المدني الذي من خلاله سيكون الضامن الفعلي والحقيقي لبناء العراق الديمقراطي الجديد⁽⁹⁾، لتبقى عملية ترسيخ التجربة الديمقراطية مرهونة بدرجة توسيع آفاق المشاركة السياسية التي تستند إلى استيعاب الجميع وفقاً لقاعدة الوعي السياسي الديمقراطي بحدوى الديمقراطية التشاركية ، وبالعكس القاعدة الأخيرة ستكون مخرجات الديمقراطية متكئة على الولاءات السياسية الضيقة المدفوعة بتمكين الانتماءات الاجتماعية الفرعية التي تضعف الولاء الوطني المشترك للدولة وحدها⁽¹⁰⁾ . لذا تُعد البنية السياسية الديمقراطية نسقاً منتظماً من العلاقات الضامنة لتمكين أعلى مستويات التفاعل مع القوى السياسية والاجتماعية الديمقراطية التي تحتكم لمبادئ الشرعية السياسية والدستورية التي أقرتها القوانين النافذة والممارسة الديمقراطية الحقيقية ، لاسيما وأن صموئيل هنتنغتون يصنفها ضمن ظاهرة العمل المؤسسي الذي ينتج نمطاً من الفاعلية التشاركية الضامنة للحد الأدنى لحكم سلطة الشعب ، لتأتي المؤسسات السياسية معبرة عن احتياجات ومطالب أفراد المجتمع نفسه⁽¹¹⁾ .

المبحث الثاني : تحليل واقع العملية السياسية الديمقراطية في ظل ضرورات وضوح الرؤية :

إن تحليل واقع العملية السياسية الديمقراطية في ظل المرحلة العراقية الراهنة يتطلب عدم الإفراط في التشاؤم والعمل من جانب آخر في تعضيد البرامج من دون الخروج عن الثوابت الوطنية ، من أجل ضمان ترسيخ التجربة الديمقراطية الحقيقية نحو كسب دعم المواطنين وتوجيههم نحو المشاركة وليس العكس ، وذلك لضمان حالة من الاستقرار في البناء التناوبي للسلطة مع توزيع عادل للأدوار عقب كل تجربة انتخابية . بمعنى الاتساق مع ظروف وواقع الحالة الراهنة لتحديث الرؤى والبرامج وفقاً لمعايير التواصل التفاعلي والاستجابة مع طموحات الجمهور (الناخبين) ، فالطبقة التقليدية أما أن تكون بنسق جديد ولكن ليس مختلف عن السابق تماماً ، أو على البقية أن تفرض نفسها بحسب المساحات الحقيقية التي

ستتاح لها لتجاوز الاخفاقات السابقة ؛ مع الوعي بخطورة المرحلة الراهنة التي نراها تتضح عندما نجد أن دول الجوار الجغرافي للعراق جميعاً تترقب المتغيرات القادمة عقب إجراء الانتخابات ، لان المشاهد السابقة كانت تعمل وفق توافقات وتحالفات آنية مبنية على مكاسب ومغانم السلطة من دون الاتكاء على شرعية الانجاز والاحتواء معاً . لذا فإن المرحلة القادمة ستكون معبئة بالأزمات ومليئة بالتحديات الجديدة والتي ستتأثر من دون أدنى شك بالإخفاقات الحاصلة من الاحزاب التقليدية أو ما سواها طالما إنها جزء من العملية السياسية الديمقراطية سابقاً ولاحقاً ، لأن الدورات الانتخابية الثلاثة السابقة لعام 2018 لم تتمكن من كسر الحواجز وتخرق معادلات واقع الفروض السياسية التي تروم التمركز الشديد ضمن حدود السلطة نفسها وغير الراغبة أصلاً في ولوج محنة بناء الدولة الامة للحفاظ على كيانها بشكل مستقر ومنتظم ومتوازن ، على الرغم من محاولة بعض القيادات والزعامات الحالية أن تتبعد إلى حد ما عن النمطية الرمزية في القيادة والإدارة ؛ ولكن التغيير التدريجي في ممارسة العمل السياسي الديمقراطي سيكون بالابتعاد عن الشد الطائفي خلال المرحلة الراهنة ومن ثم العمل على الانتقال نحو الفضاءات الاوسع في الحوار الذي يفترض أن يجري على وفق ضوابط وتفاهات جديدة يكون اساسها البناء والأعمار وفقاً لرؤية استراتيجية موحدة من أجل مستقبل الأجيال القادمة .

المطلب الأول: الآليات الإجرائية الضامنة للتحويل من سلطة الحزب إلى سلطة الدولة

من هنا يمكننا أن نحدد الآليات السياسية الإجرائية الضامنة للتحويل من سلطة الأحزاب والكيانات السياسية إلى سلطة الدولة الدستورية المدنية والتي تكمن في الآتي⁽¹²⁾ :

1 - الآليات السياسية : وهي الوسيلة الضامنة للتحويل الديمقراطي من خلال التفاعل الديمقراطي المرن الذي يجري وفقاً للالتزام الدستوري بالانتخابات والتعبير الحقيقي عن التعددية السياسية مع احترام تداول السلطة بشكل سلمي وما سواها من الوسائل الإجرائية .

2 - الآليات الاقتصادية : بمعنى ضمان تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة في توزيع الثروة مع الاعتماد على مبادئ الاقتصاد المتوازن والمستقر من خلال تطبيق إجراءات التنمية المستدامة .

3 - الآليات الاجتماعية : وتعد من الوسائل الضامنة للتوازن الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد وعلى أساس تسوية جميع الخلافات والاختلافات البينية الطارئة (إشكالية الاعتماد على المكونات الاجتماعية الفرعية) والاهتمام بفئات الطبقة الوسطى.

4 - الآليات الثقافية : بمعنى العمل على صيرورة نموذج الثقافة السياسية التواصلية البعيدة عن ثقافة الخضوع التي سادت مدة طويلة خلال مرحلة الحكم الشمولي - التسلطي قبل عام 2003 .

كما أن الانتخابات النيابية التي أجريت في الثاني عشر من أيار عام 2018 باتت اختباراً تاريخياً للكتل التي حققت تقدماً كبيراً من حيث النتائج ومنها سائرون ، الفتح ، النصر وما سواها ، من أجل البدء بمرحلة جديدة من الإصلاح والتمكين مع إعادة المراجعة الشاملة لسليبات المرحلة السابقة والتحول نحو سلطة الدولة القانونية وليس سلطة الدولة الحزبية ، أما إذا عادت الحلول الآنية في استبدال هذا الوزير أو ذاك أو العمل على محاربة الفساد بشكل دعائي ، مع عودة التحالفات المبنية على أساس الانتماء الحزبي وحتى المذهبي وما سواها من ممارسات ، فإنها ستندرج بوضع خطير قد يتهوى فيه النظام

السياسي الديمقراطي نحو الاستقرار في ظل التحولات الكبيرة التي حدثت على صعيد الواقع السياسي والمتمثلة في حدوث حراك سياسي أبتعد نوعاً ما عن التوافقات كما حدث في انتخابات الرئاسة الثلاث التي شهدت تنافس العديد من المرشحين ، لذا فمن الممكن ان تكون انتخابات عام 2018 البوابة نحو البدء في مراجعة اخفاقات المرحلة السابقة (مع الأخذ بالحسبان الحراك الجماهيري الحاصل عبر مظاهرات محافظات جنوبي العراق سيما في محافظة البصرة وما سواها من محافظات بسبب سوء تقديم الخدمات)⁽¹³⁾ . ومن ناحية أخرى توجد العديد من التعقيدات المُضافة التي تنتاب العملية السياسية الديمقراطية بسبب استمرار الانشغال في التنافس الشديد من أجل السلطة من دون وجود الرغبة الحقيقية للتحويل النوعي نحو سلطة الدولة القانونية كما أسلفنا وترك سلطة القوى الحزبية التي وجدناها تتأرجح بين مرشحي قيادات وزعامات من جانب الكتل والكيانات السياسية ، والشيء نفسه بات ينطبق على المرشحين من فئة المستقلين أيضاً ، لاسيما في المناطق التي تشهد خليطاً من المكونات الاجتماعية الفرعية ؛ من هنا وجدنا إن المشكلات السياسية والأمنية بدأت تتزايد مع تزايد حدة الاستقطاب السياسي ببعده الطائفي والمذهبي والقومي المتبع في وقت إجراء الانتخابات ، فضلاً عن التحديات الكبيرة التي تواجه عملية إجراء الانتخابات في المناطق التي تشهد تنوعاً اجتماعياً وديموغرافياً كما هو الحال في محافظات مثل كركوك ونيوى وديالى وما سواها من المحافظات ، لأن واقع الصراع والتنافس على المقاعد الانتخابية يحمل في طياته أبعاد سياسية ذات طبيعة عرقية وقومية ومذهبية ، ناهيك عن تنامي ظاهرة التصويت لقادة الكتل والكيانات السياسية (الزعامات) بسبب ثقلهم السياسي في مناطق محددة بعينها ، مما جعل توجيه مسارات التحول النوعي نحو سلطة الدولة معبئاً بهذا الواقع المنظور ، مع الأخذ بالحسبان عدم قدرة الناخبين على فهم جميع المرشحين للانتخابات كونهم ينتمون إلى قوائم الكتل والكيانات السياسية التي وصل عددها إلى ما يقارب (٦٩٠٤) مرشحاً للانتخابات عام 2018 الأخيرة ، مما جعل المشهد السياسي العام مضطرباً حيال هذا الكم الهائل من المرشحين وبالنتيجة سيكون تصويتهم موجهاً نحو قادة الكتل ليس إلا .

أما المرحلة اللاحقة فوجدنا فيها حالة من التنافس المستمرة من أجل توزيع مغانم السلطة تحت ما عرف بالاستحقاق الانتخابي سواء على مستوى التشريعي أو التنفيذي ، لذا يمكننا أن نورد على سبيل المثال اصرار الحزب الديمقراطي الكردستاني على تولي مرشحه لرئاسة الجمهورية فؤاد حسين مقابل إصرار مرشح الاتحاد الوطني الكردستاني على مرشحه برهم صالح ، لينسحب الوضع نفسه على ترضية (الحزب الديمقراطي الكردستاني) في تولي الحقبان الوزارية الثلاث لدى حكومة عادل عبد المهدي الجديدة كجزء من تخفيف حدة الخلافات الحاصلة بين الجانبين داخل البيت الكردي حصراً ، والذي حسم كما شاهدنا في الجلسة الثانية لمجلس النواب التي جرت في الثاني من تشرين الأول عام 2018 لصالح مرشح حزب الاتحاد الوطني الكردستاني برهم صالح⁽¹⁴⁾ .

كذلك من الأمثلة التي يمكن أن نوردها في مجال الطموحات المنشودة لإحداث نوع من التحول النوعي لتجاوز معنة الانشغال ببناء السلطة المحضنة كما هو الحاصل حالياً في تيار الحكمة الذي يبغى من خلال قيادة (عمار الحكيم) تأسيس تيار له صبغة ليبرالية وليست دينية بعينها ، لاسيما وأن الرأي العام العراقي بدأ منذ مدة ينتقد التيارات السياسية ذات الصبغة الدينية ، كونها باتت جزءاً من المسؤولية التي تسببت بالعديد من الأزمات السياسية والاجتماعية التي يعاني منها العراق

حاضراً ومستقبلاً ، وبالتالي فإن خطوة تأسيس الحكيمة لتيار غير ديني جاءت كمراجعة اصلاحية شاملة تحمل من الرؤية المستقبلية ما يكفي لتجاوز محنة المرحلة الراهنة التي مرّ بها ، مع استثمار تطورات الأوضاع العراقية الراهنة في مرحلة ما بعد الانتصار على تنظيم (داعش) الإرهابي ، لا سيما وإن الأحزاب السياسية الدينية باتت لا تشغل المكانة نفسها التي كانت عليها قبل عام 2015 في ظل الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية التي خرجت من المحافظات الجنوبية لتؤشر حالة من الخلل البنيوي في أداء العمل السياسي على كافة المستويات⁽¹⁵⁾

كما أن التكتلات السياسية والقوى الحزبية قد دخلت في مسار البحث عن التحالفات الانتخابية ضمن لعبة توازنات جديدة قد تغير من خارطة التحالفات السياسية التقليدية القائمة ، مع الأخذ بالحسبان الحراك السياسي الحاصل من جانب التيارات المدنية التي بدت أكثر قبولاً من جانب الرأي العام السياسي والمجتمعي على حد سواء ، كونه يمثل رد فعل طبيعي على تعثر العديد من الأحزاب والقوى السياسية المسيطرة على السلطة في إحداث نقلات نوعية على مستويات الإصلاح السياسي والإداري ومحاربة الفساد وما سواه من مجالات ، لا سيما بعد اصرارها على اعتماد النهج نفسه في قيادة مؤسسات الدولة . الأمر الذي أدى إلى تغير توجه جمهور الناخبين نحو تفضيل أحزاب وقوى الحراك المدني (كما هو الحاصل مؤخراً في تحالف التيار الصدري مع التيار المدني بالانتخابات النيابية عام 2018) ، كجزء من الرغبة في تحقيق تحول نوعي على صعيد ممارسة مسؤولية الحكم الديمقراطي خلال المرحلة الراهنة. مع استمرار بقاء عدد من القيادات الحزبية التقليدية ضمن حدود قواعد معادلة ممارسة السلطة المعمول بها سابقاً والذي سيأخذ شكله ومضمونه الطبيعي مادام يُصنّف ضمن مستويات القيادات الحزبية الرمزية⁽¹⁶⁾ .

المطلب الثاني: تحليل الواقع السياسي ومواجهة التحديات الأمنية وموجات ما بعد العنف :

يمكننا تحليل الواقع السياسي في مرحلة مواجهة موجات العنف المختلفة القادمة ضمن ما طرحته البرامج الانتخابية سابقاً ولاحقاً للطبقة السياسية الحاكمة ، في إنها لم تكن معززة بخطط استراتيجية متكاملة تضمن تنفيذ أهداف السياسات العامة وفقاً للأولويات التي يفرضها الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وما سواها ، على أمل الخروج من حالة البيروقراطية التقليدية التي تنتاب الإدارات المؤسسية على المستوى الرسمي وغير الرسمي بهدف استكمال بناء مقومات أمن الدولة - الأمة والمُضي نحو تطبيق المشاريع المستقبلية الواعدة التي تخدم جميع أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة كافة والضامنة لاستكمال متطلبات تمكين مقومات الأمن السياسي والمجتمعي حاضراً ومستقبلاً* .

يشهد عالمنا المعاصر في ظل الظروف الراهنة موجات متصاعدة من العنف والتطرف أيضاً كنتاج من نتائج ظاهرة الإرهاب الدولي الذي بات يهدد أمن الإنسان وحياته في جميع دول العالم ، مع الأخذ بالحسبان ظهور جماعات وتنظيمات إرهابية متطرفة ومتشددة بدءاً من تنظيم القاعدة وصولاً إلى تنظيم (داعش) الإرهابي ، فضلاً عن وجود العديد من التنظيمات الإرهابية المسلحة المنضوية تحت قياداتها التي عملت على نشر الخوف والتدمير والقتل ضمن ما يعرف ب (إدارة التوحش) ، كجزء من التطور الحاصل في موجات التطرف العنيف الحاصل في الفكر المتشدد البعيد عن واقع مجتمعات دول العالم بأكمله ، كونه يمثل سلوكاً منحرفاً في منظومة القيم المجتمعية والثقافية المتقاطعة جملة وتفصيلاً مع مبادئ وقيم الأديان السماوية التي جاءت بها جميعاً.

إذ تكمن استراتيجية الجماعات والتنظيمات الإرهابية المتطرفة في نشر جرائم الكراهية التي تكمن في كونها جرائم مدفوعة بدافع التمييز ، أي بمعنى الاعتداءات التي ترتكب ضد الشخص بسبب انتمائه المذهبي أو القومي أو الاثني ، وجميع هذه الجرائم تحدث تعبيراً عن حالة الغلو والتطرف العنيف في السلوك حيال الآخر وبهدف إبادة جميع أفراد المجتمع ، لا سيما وإن الأخيرة باتت مدفوعة بظواهر التشدد والغلو في الفكر التكفيري الذي يرمي إلى نشر الخوف والترويع بين الناس ، لتقويض أسس الأمن وزعزعت كجزء من الحرب النفسية من أجل إضعاف المجتمع من الداخل ، ومن دون أدنى شك يُعد هذا النوع من الجرائم جرائم عنف مجتمعي غير مبررة ومخالفة للقوانين الدولية والشرائع والديانات السماوية ، من هنا تزداد التحديات أمام الدولة في مواجهة التعصب والتشدد الفكري الذي يرمي إلى تكفير أفراد المجتمع بلا استثناء ، لذا فمهمة الدولة العراقية الراهنة تكمن في تنفيذ استراتيجيتها الوطنية الرامية إلى استئصال ظاهرة الإرهاب الدولي ومحاربة الجماعات الإرهابية المسلحة كافة ، لمنع إضعاف وحدة المجتمع ومن ثم درء تدمير مقومات الوحدة الوطنية⁽¹⁷⁾ . ناهيك عن التركيز على الأسباب السياسية التي تؤدي إلى زيادة هذا النوع من الغلو والتطرف العنيف نتيجة الاحتقان السياسي الذي يطرأ على بنية الدولة من الداخل ، والعمل على إزالة جميع الدوافع المحركة للظاهرة كونه يلحق الضرر الكبير بالمجتمع والدولة معاً على مدى المستقبل القريب ، ويجعل جميع الاستراتيجيات الموجهة نحو مكافحة الإرهاب غير مجدية ، مما يتطلب تحصين الوضع الداخلي بسياسات إجرائية ضامنة لتحقيق العدالة والمساواة والانصاف التي تُعد من مقومات الحكم الرشيد⁽¹⁸⁾ .

المبحث الثالث: الإشكاليات الانتخابية التي تواجه العملية السياسية الديمقراطية

تواجه العملية السياسية الديمقراطية إشكاليات عدة تحتاج مزيداً من الوقت والجهد من أجل تحفيز الناخبين نحو المشاركة الانتخابية الحقيقية ، وبعبارة أخرى هذا الإجراء سيكون الأقرب إلى عملية التعبئة التي تجري لمدة محددة كما هو الحال فيما بين الأحزاب الهيكلية السائدة في الكثير من دول العالم والتي تنشط في وقت الانتخابات حصراً ؛ ومن ثم لا تلبث أن ينحسر دورها عقب كل عملية انتخابية سواء على مستوى الانتخابات المحلية أو النيابية (انتخابات مجالس المحافظات في كانون الثاني / 2009 وفي نيسان / 2013 ، أما الانتخابات النيابية فقد جرت أربع مرات في الخامس عشر من كانون الثاني عام 2005، والسابع من آذار عام 2010 ، والثلاثون من نيسان عام 2014 وأخيراً وليس آخراً انتخابات الثاني عشر من أيار عام 2018) .

المطلب الأول : إشكالية المرجعية القانونية للانتخابات الديمقراطية :

اعتمدت العملية الانتخابية الديمقراطية في العراق على قوانين انتخابية متعددة وأشكال مختلفة من النظم الانتخابية بدءاً من نظام القائمة المغلقة وصولاً إلى نظام القائمة المفتوحة ، على الرغم من إن التفاعل الجماهيري الذي لمسناه في كل مرحلة انتخابية يجري لاعتبارات تتعلق بالرغبة الحقيقية في صيرورة تجربة ديمقراطية حقيقية ، ولكن باتت تصطدم مع واقع جديد وظروف سياسية مغايرة (صراع السلطة ، سجالات الكتلة النيابية الأكثر عدداً ، تأخر تشكيل الحكومة ، وتوزيع الوزارات ومواقع المسؤولية لية وما سواها من المظاهر) ، إذ جرت الانتخابات النيابية وفقاً لقانون إدارة الدولة خلال المرحلة الانتقالية في الثلاثون من كانون الثاني عام 2005 على وفق الأمر المرقم (97) الصادر عام 2004 الذي أصدره بول

بريمر والمتعلق بقانون الأحزاب والهيئات السياسية ومن ثم جرت الانتخابات النيابية الأولى وفقاً للدستور النافذ لعام 2005 وبحسب القانون الانتخابي رقم (16) الصادر في التاسع من أيلول عام 2005 الذي اعتمد نظام القائمة المغلقة كما أسلفنا ، ليعقبه إجراء الانتخابات النيابية الثانية (2010) على وفق القانون الانتخابي الصادر عن مجلس النواب العراقي ذي الرقم (26) في التاسع من كانون الأول عام 2009 الذي اعتمد نظام القائمة المفتوحة (نظام القائمة شبه المفتوحة إن صح التعبير بسبب ترك المجال في ترتيب أسماء المرشحين على وفق القائمة من جانب ، والترشيح بشكل مستقل أو لكيان سياسي ما من جانب آخر، وبالمحصلة تجري حرية الانتخاب للقائمة أو المرشحين بحسب الصفة القانونية التي اعتمدها المفوضية العليا المستقلة للانتخابات عند تنفيذ الإجراءات التنظيمية والفنية للانتخابات عموماً لغاية اعلان النتائج) ، ليكون بديلاً عن القانون الذي سبقه بسبب الانتقادات التي وجهت إليه آنذاك ، ومن ثم جرى اعتماد القانون الانتخابي ذي الرقم (45) لسنة 2013 في الانتخابات النيابية الثالثة (2014) ، ناهيك عن التعديلات التي طرأت عليه لاحقاً لإجراء الانتخابات النيابية الرابعة (2018) ، لنكون وفق رأي الباحث أمام العديد من القوانين والتعديلات التي أفضت إلى افرغ جوهر الديمقراطية الحقيقية من محتواها ومضمونها ، بحيث باتت غير قادرة على مواكبة الحراك الشعبي الحاصل في العديد من المحافظات العراقية التي تطالب بالإصلاح والتقييم والمراجعة الشاملة للتجارب الانتخابية السابقة .

كل ذلك أوجد في المحصلة النهائية حالة من العزوف الانتخابي المتعمد أو غير المتعمد ، فقد أكدت إحصائيات المفوضية العليا المستقلة للانتخابات أن نسب المشاركة بدت غير مستقرة وفقاً للنسب العددية المسجلة ، ففي الانتخابات النيابية الأولى (2005) كانت نسبة العزوف الانتخابي تقدر ب (23.64 %) لتصل النسبة إلى (37.61 %) في الانتخابات النيابية الثانية عام 2010 ، أما الانتخابات النيابية الثالثة عام 2014 فقد سجلت نسبة عزوف تقدر ب (38.24 %) . في حين سجلت الانتخابات النيابية الرابعة عام 2018 أكبر نسبة عزوف مقارنة بالأعوام السابقة في ظل محدودية وعدم دقة تحديد نسبة المشاركة فيها ، على الرغم من عدم اعلان نسبها بشكل واضح وبحسب ما جرى العمل به ، كما أن الجماهير لازالت متمسكة بالوسائل الديمقراطية لتعزيز وترسيخ قيم النظام الديمقراطي ومظاهره في مرحلة التحول ، لا سيما بعد تمكنها من الانتصار وتجاوز محنة التهديد الذي مثلته التنظيمات الإرهابية المسلحة ومنها تنظيم (داعش) الإرهابي ، ناهيك عن تجاوز معضلة الأزمة المالية التي عُدّت من نتاج الاختلال البنوي في الاقتصاد العراقي (الاعتماد على النفط حصراً) والذي تعمق بشكل ملحوظ بفعل تهديد ظاهرة الارهاب الدولي والانفاق العسكري المتزايد على مكافحته مقارنة بانخفاض اسعار النفط الحاصلة عالمياً⁽¹⁹⁾ . مما يتطلب الأمر العمل على استكمال تشريع الثنية القانونية السليمة والمناسبة لتجاوز هذه الإشكاليات من خلال إقرار النظام الانتخابي الملائم للواقع السياسي والاجتماعي في العراق ، مع الأخذ بالحسبان فلسفة النظام السياسي والدستوري المتبع في شكل ممارسة الحكم الديمقراطي وواقع عمل التعددية السياسية في بيئته الحالية. أما إشكاليات النظام الانتخابي الأخرى فتكمن في كيفية التعامل مع الدوائر الانتخابية نفسها فكلما ازداد عددها تعددت وتعقدت المشكلات التي تواجه الإدارة الانتخابية المشرفة على العملية الانتخابية برمتها، فضلاً عن صعوبة احتساب الأصوات فيما لو كان النظام الانتخابي المعتمد يستند إلى التمثيل النسبي فيما إذا تمكن طرف ما من إحراز النسبة العددية التي تضمن فوزه بمقعد أو عدة مقاعد وبحسب نسبة الأصوات التي يحرزها ، لنكون أمام إشكالية

مُضافة أخرى تتعلق باحتساب الأصوات الصحيحة ولتحديد واقع الأغلبية الانتخابية سواء أكانت بسيطة أم مطلقة ، ومن ثم يجري توزيع المقاعد بحسب وزن الاستحقاق الانتخابي المُتحقق لكل طرف سياسي أو كيان أو كتلة . ولكن الحاصل في اعتماد نظام القائمة المفتوحة يكون عرضة لمخرجات غير محسوبة والتي تتمثل في تأرجح النسب المئوية بين المشاركة حيناً والعزوف عن الانتخابات حيناً آخر مع اختلاف النسب المحتسبة في المحصلة النهائية عند استخراج النسبة النهائية لعدد المشاركين في التصويت عقب الانتهاء من إجراء الانتخابات (نتائج انتخابات عام 2018) .

من هنا قرر مجلس الوزراء العراقي في الرابع والعشرين من أيار عام 2018 تشكيل لجنة عليا برئاسة رئيس ديوان الرقابة المالية وعضوية رئيس هيئة النزاهة والمخابرات الوطني والأمن الوطني ورئيس اللجنة الأمنية العليا للانتخابات ، للتحقيق في الخروق والمخالفات الانتخابية التي حدثت في الانتخابات الأخيرة⁽²⁰⁾ . فضلاً عن قرار مجلس القضاء الأعلى الصادر في العاشر من حزيران للعام نفسه لتنفيذ قانون التعديل الثالث الذي طرأ على قانون انتخابات مجلس النواب ، والذي يقضي انتداب قضاة يتولون ادارة مكاتب المفوضية ، لاسيما وأن مجلس النواب العراقي قد ألزم المفوضية العليا المستقلة للانتخابات بإعادة العد والفرز في عموم البلاد ، كما قرر انتداب تسعة قضاة لإدارة مفوضية الانتخابات أيضاً ، ناهيك عن تصويته على إلغاء المادة (38) من قانون الانتخابات ، وأن تلزم المفوضية بإعادة العد والفرز بشكل يدوي وليس إلكتروني مع إلغاء العمل بجهاز تسريع النتائج التي نصّت عليها المادة المُلغاة نفسها . أما تقرير اللجنة الحكومية التي شكلها رئيس الوزراء السابق (حيدر العبادي) والخاصة بالانتخابات ، فقد أكد على حدوث خروقات قانونية وتزوير وتلاعب في العملية الانتخابية ، وطالبت اللجنة باتخاذ الإجراءات القانونية المناسبة حيالها ، مع إلغاء نتائج الانتخابات في الخارج لثبوت وجود خروقات وعمليات تزوير متعمدة ، فضلاً عن إلغاء نتائج التصويت في المراكز والمحطات الانتخابية الخاصة بالنازحين في محافظات عدة من العراق⁽²¹⁾ .

المطلب الثاني : تأثير فاعلية النظم الانتخابية والنمط المقترح للتطبيق :

إن الكيفية التي يجري بها تطبيق النظام الانتخابي ستكون مقبولة طالما إنها تفسح المجال أمام المرشحين في توجيه برامجهم الانتخابية نحو ناخبهم ، في الوقت الذي يجري فيه ضمان حقيقي لعملية التثقيف الانتخابي قبل إجراء الانتخابات كونه جزء مهم من هذه العملية التكاملية التي تبغي استطلاع الآراء بشكل تلقائي ومبكر ، لمعرفة بوضلة توجه سلوك الناخب نحو المرشح على وفق مبدأ الرضا والقبول به وصولاً إلى معرفة حدود شعبية وجماهيرية كل مرشح تبعاً للدائرة الانتخابية التي ينتمي إليها . في الوقت الذي يضمن فيه النظام الانتخابي المقترح على سبيل المثال مستقبلاً كأن يكون النظام المختلط الذي يسمح بالترشيح عن القائمة المفتوحة والترشيح الفردي بالقائمة نفسها أيضاً ؛ مع ضمان عدم تدخل رئيس القائمة في ضم مرشح ما وفقاً لحسابات تتعلق بالانتماء للحزب أو الكتلة أو حتى الولاء له ، مع العمل الحثيث على إيجاد أفضل الوسائل في احتساب الأصوات بحسب نظام (سانت ليغو) المعتمد حالياً والمعدّل ، من أجل ضمان تمثيل مرشحي القوائم الصغيرة والمرشحين الفرديين والحفاظ على الأصوات التي حصلوا عليها فعلياً .

أما طبيعة ممارسة التجربة الديمقراطية الراهنة فتتطلب معرفة التجارب المتبعة في تطبيق الأنظمة الانتخابية المناسبة في الكثير من دول العالم والتي حققت النجاح والاستقرار السياسي لاسيما وإن هنالك ما يقارب (211) نظام انتخابي في

العالم ، وبقدر تعلق الأمر بالتجربة الانتخابية العراقية الحديثة يستدعي إجراء مقارنة موضوعية بين جُل النظم الانتخابية من أجل الخروج بالنظام الأنسب في ممارسة وتجريب العملية الانتخابية سواء على أساس اعتماد نظام الأغلبية البسيطة أو الأغلبية المطلقة أو حتى نظام التمثيل النسبي الذي يفترض إعطاء نسبة عددية محددة للكتلة السياسية ، الكيان السياسي ، القائمة ، أو المرشح من مجمل المقاعد المخصصة لها على وفق القاعدة الجماهيرية التي يتمتع كل منهما في الانتخابات ، والشيء نفسه بالنسبة للنظام الانتخابي المختلط أيضا الذي يقتضي توزيع المقاعد على أساس النسب العددية التي تحققها القوائم أو الكيانات والكتل السياسية مع حساب الوزن الكلي العددي لكل منهما ليحسب الأصوات وفقاً لذلك ، ومن ثم يجري التعرف على حصة أقوى الكتل أو الكيانات السياسية الحاصلة على أعلى الأصوات ليكون بذلك المعيار الأساسي في قياس وفرز الفائز الأول والثاني وهكذا ، مع الأخذ بالحسبان التوزيع الدقيق والتحديد الصحيح للدوائر الانتخابية الموزعة في جميع مناطق العراق سواء أكانت دوائر انتخابية صغيرة أم كبيرة وبحسب التعداد السكاني في كل محافظة ، ليجري تحديد المقاعد المخصصة لها تبعاً لذلك .

ومن المقترحات المفترضة لقوانين الانتخابات هو اعتماد مبدأ النسبية العددية والقوائم المفتوحة ودائرة انتخابية لكل (100) ألفاً ، ومن ثم تشكيل مجلس مفوضية للانتخابات بحسب القانون الخاص بها الذي يفترض أن يكون أكثر فاعلية من الناحية القانونية ، كي يعمل على تدارك التحديات التي تواجه عملية إدارة العملية الانتخابية بالكامل⁽²²⁾ ، مع الأخذ بالحسبان حالة الطعون التي تقدمها الكيانات السياسية عقب الانتخابات في ظل إشكالية التشكيك المستمر بالتلاعب بنتائج الانتخابات أصلاً ، لتبقى مسألة اختيار أعضاء مجلس المفوضية الإشكالية التي لم تحسم لحد الآن ، مما يثير العديد من نقاط الاختلاف وحتى الخلاف بين القوى السياسية في ظل استمرار منهج الاعتماد على التوزيع المكوناتي لأعضاء هذه المفوضية من أجل إرضاء تمثيل جميع الأطراف السياسية بحسب تمثيل المكونات الاجتماعية المتنوعة فيها .

إذ يُفترض أن تكون هنالك عملية تكاملية في تأدية المهام والأدوار من جانب القوى السياسية والاجتماعية المشاركة في الانتخابات في ظل التعاون مع وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية ، كونها الأساس في العملية الانتخابية التي يُشاركها أيضاً مؤسسات المجتمع المدني التي لها الدور الأكبر في تدعيم الروابط بين الناخب والمرشح بوصفها حلقة الوصل بين السلطة الحاكمة (الطبقة السياسية الحاكمة) والسلطة المحكومة (الشعب) على حد سواء ؛ لأن الجميع معنيّ هنا بمهمة توعية الناخبين من خلال تسهيل وسائل الاتصال بالمرشحين والاطلاع على برامجهم الانتخابية سيما الخدمية منها التي تمس معاناة الناس ومشكلاتهم اليومية المتعلقة بمستوى معيشتهم الاعتيادي ، ناهيك عن الوقوف الجدي والحقيقي على أبرز الهموم المتعلقة بالفقر والعوز والمرض والعجز والامية وغيرها من الهموم التي بدت واضحة للعيان وتنتظر الحل والمعالجة منذ مدة (مظاهرات عام 2011 و عام 2015 و عام 2016 - دخول مبنى البرلمان في الثلاثين من نيسان - و أخيراً وليس آخراً عام 2018) . لا سيما وإن نشاط الدعاية الانتخابية نراه إعلامياً في وقت الانتخابات حصراً وما تلبث أن تضعف أو ربما تنتهي حالة التواصل بين المرشح والناخب بمجرد فوزه لتبدو العلاقة طوال مدة توليه المسؤولية غير مستمرة ، مما يتطلب تغيير منهجية العمل السياسي ، لأن تأدية الخدمة العامة يُعدّ تكليفاً وليس تشريفاً ، والذي يجري دائماً وفقاً لمقتضيات التفويض الشعبي الذي جاء عبر صناديق الاقتراع ومتطلبات الاستحقاق الانتخابي لاحقاً ليس إلا .

المطلب الثالث : نماذج من الاصلاح والمراجعة بعد التمكين :

إن تزايد حجم الضغط الجماهيري خلال الأعوام السابقة كما حدث في بغداد وثمان محافظات عراقية في الجنوب لا سيما منذ قيام المظاهرات الشعبية في السابع من آب عام 2015 ، قد أدى إلى تصاعد الدعوات المطالبة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي الشامل ليطال جميع مجالات الحياة كافة ، والتي حظيت بتأييد المرجعية الدينية في محافظة النجف الأشرف ، وفي الحادي عشر من آب للعام نفسه عقد مجلس النواب العراقي جلسته التي حضرها (297) عضواً ليجري التصويت على ورقتي الإصلاح الوزارية لحكومة (حيدر العبادي) والبرلمانية التي قدمها رئيس مجلس النواب (سليم الجبوري) واللتان مرتتا بموافقة (296) عضواً أيضاً والتي تمحورت حول العديد من القضايا (مُحاسبة المُفسدين في جميع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية وإحالتهم إلى القضاء ، تقليل عدد الوزارات في الكابينة الوزارية ، تقليل عدد المستشارين إلى خمس مستشارين ، إلغاء المُخصصات المالية والامتيازات الاستثنائية سيما في الرئاسات الثلاث - رئاسة الجمهورية ، مجلس الوزراء ، ومجلس النواب - مع تقليل عدد أفراد حماية المسؤولين ، إعانة المواطنين لمن لا عمل له إلى حين تغير ظروفهم وأوضاعهم المعيشية ، استكمال تشريع القوانين المهمة في مجلس النواب ، تقويم عمل اللجان البرلمانية وإحالة ملفات الفساد في مؤسسات الدولة كافة إلى القضاء ، مع محاسبة من تسبب في تدهور الأوضاع الأمنية في المُحافظات التي تعرضت لخطر اجتياح الإرهاب سيما محافظات نينوى والانبار وصلاح الدين وديالى في عام 2014 ، والتزام لجنة الشهداء في تعويض جرحى وشهداء الحشد الشعبي والقوات الأمنية والقوات المُسلحة العراقية وما سواها من اصلاحات) ؛

ولكن هذه الحزمة الاصلاحية لم تتمكن من تحقيق الشيء الكثير وبدليل ما زال الكثير من قيادات الطبقة السياسية الحاكمة لحد الآن غير راضٍ عنها ، مقارنة بحجم المطالب الشعبية التي نراها تزداد يوماً بعد يوم ، مما يتطلب الأمر إجراء مراجعة شاملة في جميع الإجراءات الإصلاحية والخطط الاستراتيجية التنموية السابقة المتعلقة بالجانب الأمني والخدمي وحتى السياسي . من هنا باتت عملية الإصلاح السياسي في العراق بعد الانتخابات النيابية الأخيرة ضرورة مُلحة ، والتي تدفع باتجاه تقييم جميع مقومات القوة الكامنة فيها لاستيعاب جميع التحديات والإشكاليات التي واجهتها ، للتصدي لحالة التراجع السياسي والاقتصادي الحاصلة في أبرز الملفات الخدمية في البلاد والتي لا يمكن التغاضي عنها في المرحلة الراهنة ؛ لأن استمرارها قد يؤشر إلى فشل العملية السياسية بسبب عدم تمكن الطبقة السياسية الحاكمة ومنذ عام 2003 من انجاز الأهداف الاستراتيجية لسياساتها العامة الإصلاحية والتي أحدثت حالة من الفجوة مع جمهورها بسبب الإخفاق المستمر وضعف البنى السياسية اللازمة لاستكمال بناء العملية السياسية الديمقراطية المستقرة ، فما زالت هذه الطبقة محكومة بآليات المحاصصة السياسية بعدها المذهبي والقومي والاثني وما سواه ، والذي شكّل انتكاسة في ممارسة إدارة الحكم⁽²³⁾.

لذا ففي ظل الحراك الشعبي توجد ملامح عامة لعدد من المشروعات السياسية لبعض القوى والتكتلات الحزبية التي بدأت في الظهور على الساحة والتي تستخدمها كبرامج للتسويق الانتخابي ، والتي يمكننا أن نحددها في الآتي⁽²⁴⁾ :

- 1 - مشروع التسوية السياسية المطروحة : والذي روج له رئيس التحالف الوطني (عمار الحكيم) في حينها ، وهو المشروع الذي يستهدف تحقيق مصالحت تاريخية بين مكونات الشعب العراقي كافة ، والعمل على إعادة بناء الثقة المفقودة بين مكونات المجتمع نفسه وعلى أساس مبدأ المواطنة الحقيقية .
- 2 - مشروع الأغلبية السياسية : وهو المشروع الذي طرحته كتلة دولة القانون التي يرأسها (نوري المالكي) ليحري تطبيقه بعد انتخابات عام 2018 ، من أجل حصر تداول العملية السياسية بين أطراف سياسية محددة ، ولكن البعض عدّها بديلاً عن آلية التوافق التي جرى العمل بها سابقاً .
- 3 - مشروع التيار الصدري (الإصلاح السياسي ومحاربة الفساد) : وقد عُدّ نقيضاً لمشروع دولة القانون في الأغلبية السياسية ، والذي يرمي إلى رفض المحاصصة السياسية الطائفية ويطالب بتشكيل حكومات غير حزبية ، فضلاً عن عدم الرضا بعودة نوري المالكي إلى منصب رئيس الوزراء عبر الأغلبية السياسية الحزبية المطروحة في مشروعها، مع ضرورة العمل على إقرار قانون جديد للانتخابات وتشكيل مفوضية جديدة لها .
- 4 - مشروع الدولة المدنية : وهو المشروع السياسي الذي طرحته الكتلة الوطنية العراقية التي يرأسها (إياد علاوي) ، لبناء دولة عراقية مدنية علمانية تقوم على تحقيق العدالة والإصلاح ، كما يدعو إلى تشكيل حكومات تكنوقراط بعيداً عن المحاصصة الحزبية ، ويطلب بكسر سيطرة الأحزاب الدينية على السلطة .
- 5 - مشروع رئيس الوزراء السابق (حيدر العبادي) : ، والذي يسعى إلى ضمان البقاء في السلطة من خلال حسم نتيجة الانتخابات لعام 2018 ، ويستند (العبادي) في مشروعه على النجاحات الكبيرة التي حققها على الصعيد الأمني والسياسي والاجتماعي في ظل الانتصارات الكبيرة المتحققة ضد تنظيم (داعش) الإرهابي ، من أجل المُضي في تطبيق الإصلاحات السياسية والإدارية مع استثمار فرص الدعم الدولي التي يحظى بها والذي أثار مخاوف منافسيه وخصومه .
- 6 - مشروع تحالف قوى المناطق الغربية : والذي بدأ يتشكل بعد تحرير المدن من سيطرة التنظيمات الإرهابية المسلحة ليحمل مسمى (تحالف القوى الوطنية العراقية) ، ويقوده رئيس مجلس النواب السابق (سليم الجبوري) ويسعى من خلاله إلى ضم معظم القوى والأحزاب العراقية في مشروع سياسي جامع استعداداً لمرحلة ما بعد القضاء على تنظيم (داعش) الإرهابي ، كما إن المشروع يرمي إلى تجاوز سياسات الاحتقان الطائفي والمذهبي الحاصلة في مرحلة سابقة .
- 7 - مشروع عشائر غرب الأنبار : ويمثله تحالف عدد من قوى المناطق الغربية التي لم تشارك في التحالف أعلاه ، ويقوم المشروع على وثيقة تستهدف ضمان السلم الأهلي بين مكونات المجتمع العراقي ، وإعادة تأهيل أبناء المجتمع في تلك المناطق من أجل ترسيخ مقومات الوحدة الوطنية في البلاد
- من هنا يمكننا أن نحدد خارطة الكتل السياسية التي فازت بانتخابات أيار عام 2018 مقارنة مع خارطة انتخابات عام 2014 والتي يوضحها الجدول الآتي⁽²⁵⁾:

القائمة	تركبتها	عدد المقاعد	عدد المقاعد	نسبة	نسبة
---------	---------	-------------	-------------	------	------

المقاعد %	التغير	السابقة في برلمان 2014	الحالية لعام 2018		
16.4	20+	34 (كتلة الأحرار الصدرية)	54	مقتدى الصدر مع قيادات التيار المدني	سائرون
14.2	-	-	47	هيئة الحشد الشعبي	الفتح
12.7	-	-	42	رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي	النصر
7.5	67-	92	25	رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي	دولة القانون
7.5	-	25	25	بقيادة مسعود البارزاني	الحزب الديمقراطي الكردستاني
6.3	-	21	21	برئاسة إياد علاوي	القائمة الوطنية
5.7	10-	29 (تيار المواطن)	19	عمار الحكيم	تيار الحكمة
5.5	3-	21	18	أسسه الرئيس الأسبق الراحل مام جلال الطالباني	الاتحاد الوطني الكردستاني
3.1	9-	23 (متحدون)	14	نائب رئيس الجمهورية السابق أسامة النجيفي	تحالف القرار العراقي

الخاتمة والاستنتاجات :

شهدت العملية السياسية الديمقراطية العراقية منذ عام 2003 إجراء العديد من التجارب الانتخابية سواء على مستوى مجالس المحافظات أم على مستوى المجالس النيابية التي تجري وفقاً للقوانين الانتخابية النافذة والمُنظمة لها في كل مرحلة من مراحل إجراء الانتخابات ، مما يتطلب القيام بإعمال كبيرة سواء تلك التي تتعلق بدور المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في الإشراف على إدارة العملية الانتخابية من جميع النواحي أم تلك التي تتعلق بدور القوى السياسية والاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني أيضاً في توجيه مسار الانتخابات نحو المشاركة الفعالة . ولكن العملية السياسية الديمقراطية وجدناها غير قادرة على تجديد نفسها وإعادة الحياة في مضامينها بسبب الاعتماد على التوافقات والمحاصصة السياسية ببعدها المذهبي والقومي والاثني وما سواه ، من هنا باتت عملية إعادة المراجعة من أجل الإصلاح والتمكين ضرورة ملحة لنمذجة التجربة بإجراءات حقيقية وفعالية قادرة على تجاوز محنة الماضي والحاضر للعبور نحو المستقبل . وبين هذا وذاك متطلبات واحتياجات عدة يحاول البعض أن يتسق معها وبحسب مقتضيات المرحلة في ظل التوجه نحو تقويم مجمل الأوضاع السياسية العامة وما سواها من أجل تحقيق نوع من المراجعة الشاملة التي لا تلحق الضرر بالعملية السياسية

الديمقراطية الراهنة في العراق . إذ أن كل دولة تستطيع الولوج في الإصلاح السياسي على شكل تدريجي وصولاً إلى حالة التمكين الديمقراطي الحقيقي ، على الرغم من أن القابضين على السلطة يضعون الخيارات المناسبة لتأمين وجودهم في الحكم من خلال ضمان تفوقها الانتخابي في العملية السياسية الديمقراطية ولكن بشكل دستوري وقانوني ، وهذا ما تسمح به قواعد العمل السياسي الديمقراطي التشاركي ؛ أما الاستمرار بالإصلاحات السياسية الشكلية فإنه مدعاة للأزمات مع طرح خيار تعثر المسار الإصلاحي بالمحصلة النهائية وهذا لا يخدم التجربة السياسية الديمقراطية بأكملها .

أما الطبقة السياسية الحاكمة فوجدتها في أحوال عدة تتمسك بمعتقداتها الفكرية والأيديولوجية التي تنحسر في أغلب الأحوال ضمن حالة الانغلاق والجمود الفكري (ضرورات الإصلاح والمراجعة في الطروحات الفكرية)، على الرغم من فاعلية المجتمع العراقي الذي يمتاز بفاعلية الحراك الاجتماعي وحتى السياسي في المستويات الشعبية سيما في مستويات الطبقة الوسطى نفسها وما سواها التي بدأت فواعلها بالمجمل تحاكي الاختيار بين البدائل المطروحة ، ليفوق هذا الحراك الجماهيري الحراك السياسي الذي يجري حالياً على مستوى الطبقة السياسية الحاكمة نفسها (خيارات التسوية التاريخية الوطنية المتعثرة) في ظل حالة الركود السياسي الذي تعاني منه أغلب القوى الحزبية التي اعتمدت على أسلوب التعبئة ليس إلا .

أن التغيير لا يحدث من تلقاء نفسه وإنما يجري من خلال سلوكيات الأفراد وأفعالهم وعلى أساس الاستناد إلى حالة من التمازج فيما بين التنظير الفكري من أجل التغيير تارة ، والممارسة الفعلية المتداخلة بمحفزات الانتقال والتحول من حالٍ إلى حالٍ أفضل تارة أخرى ، وبين هذا وذاك عوامل بنيوية عدة تسهم في تحقيق الظروف المواتية للإصلاح الذي يتطلب ربط الطموحات بالأفعال من خلال حركات اصلاحية فاعلة لبناء نمط سلمي مستقر ومستمر في التغيير يبدأ من القاعدة وصولاً إلى القمة وليس العكس . لأن البناء الإصلاحي على النمط الأخير (العكسي) قد يفضي إلى عمليات تغيير مفاجئة وسريعة غير متوقعة النتائج، فضلاً عن حالة التراجع التي تصيب البنية المؤسسية للمجتمع والدولة بالكامل ، فالمشاهد السابقة وجدناها كانت تعمل على وفق توافقات وتحالفات آنية مبنية على مكاسب ومغانم السلطة من دون الاتكاء على شرعية الانجاز والاحتواء معاً . بمعنى إن المرحلة القادمة ستكون معبئة بالأزمات وملبئة بالتحديات الجديدة والتي ستتأثر من دون أدنى شك بالإخفاقات الحاصلة من الاحزاب التقليدية أو ما سواها طالما إنها جزء من العملية السياسية الديمقراطية ، لأن الدورات الانتخابية السابقة لم تتمكن من كسر الحواجز وتخرق معادلات واقع الفروض السياسية التي تروم التمرکز الشديد ضمن حدود السلطة نفسها وغير الراغبة أصلاً في ولوج محنة استكمال بناء مقومات الدولة الامة للحفاظ على كيانها بشكل مستقر ومنظم ومتوازن (مخرجات الإصلاح والتمكين والمراجعة الشاملة)، على الرغم من محاولة بعض القيادات والزعامات الحالية أن تبعد إلى حد ما عن النمطية الرمزية في القيادة والإدارة على حد سواء (المشاريع الإصلاحية المطروحة حالياً)

إذ يمكننا تحديد أبرز ملامح المراجعة الشاملة في الآتي :

- 1 - إعادة الثقة المفقودة بين الطبقة السياسية الحاكمة وعموم الناس من أجل ضمان أكبر قدر من المشاركة الانتخابية الديمقراطية من خلال ردم الهوة الحاصلة بين طرفي المعادلة استناداً إلى توعية المواطنين بجدوى أهمية دورهم كونهم يمثلون السلطة المحكومة (الشعب مصدر السلطات) ، إعمالاً بنص المادة (5) من الدستور العراقي النافذ عام 2005 .
- 2 - ضمان فاعلية عمليات الإصلاح والمراجعة وإعادة التمكين في التجربة السياسية الديمقراطية من خلال توسيع مجالات المشاركة واستيعاب جميع قوى الحراك السياسي والشعبي على حد سواء حاضراً ومستقبلاً .
- 3 - ضمان أكبر قدر من التفاعل السياسي المرن بين الطبقة السياسية الحاكمة والطبقة المحكومة (الشعب).
- 4 - العناية بالشؤون الإدارية والفنية في جميع محريات إدارة العملية الانتخابية التي تضطلع بها المفوضية العليا المستقلة للانتخابات ، مع تسهيل الإجراءات وتوفير المستلزمات الضرورية لإنجاح التجربة الانتخابية وفقاً لمبادئ الشفافية والنزاهة والمصداقية ، والعمل على استكمال توافر متطلبات المعايير الدولية المعتمدة في إجراء الانتخابات لتجاوز حالات التلاعب بنتائج الانتخابات سيما في ظل الاعتماد على أجهزة العد والفرز الإلكترونية التي اثبتت انتخابات عام 2018 عدم جدواها إلى حد كبير .
- 5 - الاعتماد على السلطة القضائية في انتداب مجموعة من القضاة للقيام بعملية الرقابة والاشراف على العملية الانتخابية في مراحلها كافة ، ناهيك عن الاستعانة بوسائل الإعلام الوطنية والإقليمية والدولية في ظل ضمان تواجد مراقبة جميع المنظمات المعنية بشؤون الانتخابات ، كونها الأساس في استكمال شروط العملية الانتخابية من الناحية القانونية التي يؤسس عليها معيار الشرعية الدستورية والسياسية على حد سواء .
- 6 - الاستفادة من التجارب الانتخابية الديمقراطية الحاصلة في الكثير من دول العالم من أجل الخروج بفلسفة قانونية جديدة ورؤية موحدة ضامنة للإصلاح السياسي الديمقراطي .
- 7 - إجراء المراجعة الشاملة عقب تنفيذ برامج الإصلاح والتمكين الديمقراطي من أجل استدامة مقومات إعادة الحيوية في مجمل العملية السياسية الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً.

المصادر والهوامش

- (¹) نقلاً عن : أحمد نعمة حسن الصحاف ، التوقعة والبحر : جدل الخاص والعام في الهوية العراقية ، مجلة حوار الفكر ، المعهد العراقي لحوار الفكر ، بغداد، السنة / 11 ، العددان / 34 – 35 ، كانون الأول 2015 ، ص 101 .
- (²) همام حمودي ، هل يمكن أن يكون العراق نموذجاً ، مجلة حوار الفكر ، المعهد العراقي لحوار الفكر ، بغداد ، السنة / 7 ، العدد / 17 ، حزيران 2011 ، ص 5 .
- (³) نقلاً عن : السيد ياسين ، تحديث مصر الإشكالية المعرفية والمشكلات الواقعية، التقرير الاستراتيجي العربي لعام 2000، تحرير د. وحيد عبد المجيد ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، 2001، ص 22 .
- (⁴) أحمد يحيى الزهيري ، العملية السياسية في العراق بعد 2003 دراسة في إشكالية الرئاسات الثلاث ، دار السنهوري ، بيروت – بغداد ، 2017 ، ص 26 – 27 .
- (⁵) عبد السلام ابراهيم البغدادي ، النظم السياسية العربية وتحديات التغيير والاصلاح السياسي ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بغداد ، 2011 ، ص 37 – 38 .
- (⁶) المصدر نفسه ، ص 105 – 107 .
- (⁷) المصدر نفسه ، ص 132 .
- (⁸) عبد الوهاب حميد رشيد ، التحول الديمقراطي في العراق الموارث التاريخية والأسس الثقافية والمحددات الخارجية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، تموز 2006 ، ص 250 .
- (⁹) المصدر نفسه ، ص 258 .
- (¹⁰) طه حميد العبيكي ، النظم السياسية والدستورية المعاصرة أسسها وتطبيقاتها ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، بيروت – بغداد ، آب 2013 ، ص 355 – 356 .
- (¹¹) نقلاً عن ، عبد العظيم جبر حافظ ، النظام السياسي الديمقراطي والأمن الوطني ، مؤسسة تائر العصامي ، بغداد ، 2017 ، ص 46 – 47 .
- (¹²) عامر حسن فياض ، نحو خارطة تفكير عراقية لبناء الحكم الصالح ، مجلة حوار الفكر ، المعهد العراقي لحوار الفكر ، السنة / 7 ، العدد / 17 ، بغداد، حزيران 2011 ، ص 10 – 11 .
- (¹³) ميثاق خير الله جلود ، انتخابات 2018 البرلمانية ومستقبل النظام السياسي في العراق ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، أنقرة ، تركيا ، 2 / 10 / 2018 ، ص 2 .
- (¹⁴) فوز برهم صالح برئاسة العراق ، موقع صحيفة المصري اليوم ، مصر ، 2 / 10 / 2018 .
- (¹⁵) صافيناز محمد أحمد ، الحراك السياسي في العراق.. التأقلم مع مرحلة ما بعد داعش والاستعداد للانتخابات التشريعية 2018 ، 10 / 9 / 2017 ، ص 2 .
- (¹⁶) صافيناز محمد أحمد ، المصدر نفسه ، ص 3 .
- * من هنا يمكننا أن نوضح بأن فرنسا وألمانيا قد وضعت مشروعاً من أجل الإصلاح في منطقة الشرق الأوسط عام 2004 وبالتوازي مع المشروع العربي للإصلاح الذي طرح في الاسكندرية بشهر آذار من العام نفسه ، كي يكون البديل عن مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية في شباط عام 2004 ضمن مبادرتها الدولية (الذي جاء نتيجة لتعثر تطبيق المشروع الأمريكي في العراق في حينها) ، ليكون البديل عنه وضمن الجهود الأوروبية الساعية من أجل التفاوض والتسويق والتفاهم مع دول المنطقة لضمان أمن واستقرار المنطقة على مختلف المستويات . للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع ينظر: يوسف حسن يوسف ، التحليل السياسي لمشكلة الشرق الأوسط ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان ، 2017 ، ص 183 – 186 .

- ¹⁷) ولد الصديق ميلود ، مكافحة الإرهاب بين مشكلة المفهوم واختلاف المعايير ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان ، 2017 ، ص ص 227 228 .
- ¹⁸) المصدر نفسه ، ص 228 . ثم قارن مع دليل حقوق الانسان الوطنية ، اصدارات الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادرة عن الأمم المتحدة ، 2006 ، ص 36 .
- ¹⁹) حسين أحمد السرحان ، العراق 2018 : الإشكاليات السياسية تنتج حكومة أزمة ، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية ، كربلاء ، 25 / 11 / 2018 ، ص 1 .
- ²⁰) اللجنة القانونية تتفق على انتداب قضاة للعد والفرز اليدوي بدل المفوضين ، أخبار قناة السومرية ، بغداد ، 30 / 5 / 2018 .
- ²¹) الكشف عن أسماء قضاة يتولون ادارة مكاتب المفوضية ، أخبار شفق نيوز ، العراق ، 11 / 6 / 2018 . متاح على الرابط : <https://www.iraqkhbar.com/1149049>
- ²²) أحمد عدنان الميالي ، الاصلاح الانتخابي : كمدخل للإصلاح السياسي في العراق ، مجلة حوار الفكر ، المعهد العراقي لحوار الفكر ، السنة / 12 ، العدد / 41 ، بغداد ، أيلول 2017 ، ص 59 .
- ²³) أحمد عدنان الميالي ، الاصلاح السياسي في العراق : معوقات وحلول ، شبكة النبا المعلوماتية ، بغداد ، 21 / 8 / 2018 ، ص 1 .
- ²⁴) الجدول نقلاً عن : صافيناز محمد أحمد ، الحراك السياسي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص 1 - 2 .
- ²⁵) بلا ، انتخابات 2018 النيابية في العراق: بين الطائفة والوطن ، مبادرة الاصلاح العربي ، مؤسسة رائدة للفكر المستقل ، باريس ، 12 / 7 / 2018 .